العثمانيون تاريخ وحضارة
سلسلة رسائل الإصلاحات والتنظيمات
(النقد الذاتي) في الدولة العثمانية (١)

الآقحصاري البوسنوي
ورسالته: أصول الحكم في نظام العالم
أو
أصول الحكم في نظام العالم
للآقحصاري البوسنوي، ت ١٠٢٥هـ

دراسة وتحقيق وتعليق

أ.الدكتور شامل الشّاهين

المقدمة

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، وجعله هدى وبشرى لأولي الألباب. والصلاة والسلام على من كان للأنبياء ختاماً سيدنا ونبينا ورسولنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

شكلت رسائل الإصلاح في الدولة العثمانية أسس منهجية النقد الذاتي البنَّاء لتلك الدولة ونظامها الإداري المركزي وعلى مرِّ عصورها؛ منذ نشأتها وتكوينها وازدهارها حتى عصر التنظيمات وما بعده.

ووقفت هذه الرسائل الإصلاحية حججاً واضحة دامغة شامخة مدوية أمام أيديولوجية فقه السلطان وحفريات النفاق والمداهنة، مكونة أهم معالم النقد والإصلاح في الدولة العثمانية، ومدوِّنة بذلك الجانب المضيء والمستنير المبدع في التاريخ العثماني.

استفاد من هذه الرسائل السلاطين والأمراء بشكل عام، وسلاطين الإصلاحات بشكل خاص (ومنهم: السلطان أحمد الثالث، والسلطان محمود الأول، والسلطان سليم الثالث، والسلطان عبد المجيد، والسلطان عبد العزيز، والسلطان عبد الحميد الثاني)، حيث قاموا بإصدار القوانين (الفرمانات) السلطانية إلى المسؤولين عن الإصلاحات في الدولة العثمانية.

وكان من أهم هذه الرسائل رسالة من الكافي الآقحصاري والمعروفة بـ **"أصول الحكم في نظام العالم"**، حيث عبّرت الرسالة عن رؤى الإصلاح المبكر في الدولة العثمانية (*والتي سبقت مرحلة الانحطاط في الدولة العثمانية ومرحلة الغزو الأوربي*) فكانت مكملة لما سبقها من رسائل ومذكرات إصلاحية، ونموذج وتمهيد وتشجيع لما كتب من بعدها في الإصلاحات والتنظيمات العثمانية، بل استفادت منها في مجال النقد الذاتي وتقويم اتجاهات التطور في ممارسات الدولة العثمانية

ودورها العالمي، وهي خطوة على طريق النقد الذاتي للدولة العثمانية من خلال رؤية معرفية إصلاحية واقعية.

ولقد أضاف إليها الصفة الرسمية استحسانُ وزراء الدولة العثمانية وكبار علمائها الذيتن طلبوا من مؤلفها ترجمتها إلى اللغة العثمانية، مما هيأ لها سبل الانتشار والشهرة.

تَنَبَّهَ إلى أهمية هذه الرسالة ومكانتها بين رسائل الإصلاح كثير من مفكري الإصلاح والقادة والسياسيين في الدولة العثمانية سواءً الذين كانوا قبل عهد التنظيمات، أو مَن جاء بعده (*أي بعد إعلان فرمان "قانون" التنظيمات عام ١٨٩٣م*).

كان عهد التنظيمات هو العهد الذي جرت فيه أهم محاولات الإصلاح الداعية إلى طريق المركزية المالية بالإضافة إلى المركزية الإدارية التي كانت تتمتع بها الدولة.

وكان من بين الإصلاحيين الذين استفادوا من هذه الرسالة "***أصول الحكم في نظام العالم***" أو سلكوا مسلكها في التعبير عن رؤى ونصائح ومبادئ إصلاحية؛ "***لطفي باشا***" الوزير السابق للسلطان سليمان القانوني، حيث كتب رسالة: (آصاف نامة)، وهي من أوائل الرسائل التي تناولت التشكيلات الإدارية في الدولة العثمانية.

و"***كوجي بيك***" الذي كتب رسالة (تقرير) إلى السلطان مراد الرابع، ورسالة (تقرير) إلى السلطان إبراهيم.

ومصطفى غالي الغليبولي الذي كتب: (**كُنْه الأخبار**)، و(**نُصْحَة السلاطين**)، و(**موائد النفائس في قواعد المجالس**).

و"***مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي***" الذي كتب رسالة إلى السلطان مراد الرابع عام ١٦٥٣م.

و"**أبو بكر راتب أفندي**" الذي كتب كتاباً (تقريراً في ٥٠٠ صفحة) رفعه للسلطان سليم الثالث، وذلك إثر إقامته في فيينا عام ١٧٠٣م.

و"**محمد رئيف**" الذي كتب: (**التنظيمات الجديدة في الدولة العثمانية**) باللغة الفرنسية والتركية، ثم ترجمته إلى اللغة العربية.

و"**إبراهيم متفرقة**" الذي كتب: (**أصول الحكم في نظام الأمم**)، وهي رسالة رفعها للسلطان محمود الأول.

و"**أحمد رسمي كريدي**" الذي كتب: (**خلاصة الاعتبار**) عام ١٧٣٧م. كما كتب تقريراً من برلين رفعه للسلطان عبد الحميد الأول.

و"**سيد مصطفى**" الذي كتب: (**نقد حالة الفن العسكري والهندسة والعلوم في القسطنطينية**) عام ١٨٠٣م.

و"حسين هزارفي" الذي كتب: (تلخيص البيان في قوانين آل عثمان).

و"قوجه سكبان باشا" الذي كتب: (خلاصة الكلام في رد العوام) في عام ١٨٠٧م.

و"ساري محمد" الذي كتب: (نصائح الوزراء والأمراء).

والصدور العظام: "خير الدين التونسي" الذي كتب: (أقوم المسالك في معرفة الممالك) عام ١٨٦٧م.

و"أحمد جودت باشا" الذي كتب: (المعروضات).

و"كوجك سعيد باشا" الذي وضع مذكرات سياسية وقدّمها للسلطان عبد الحميد الثاني، عام ١٨٨٠م.

و"حالم سعيد باشا" الذي كتب مقالته بالفرنسية، وهي: (تقليدنا، أزمتنا الفكرية، أزمتنا الاجتماعية، لماذا تخلف العالم الإسلامي، البناء السياسي في الإسلام).

بالإضافة إلى هذه الرسائل والتقارير والكتب الإصلاحية، هناك كتب إصلاحية أخرى مجهولة المؤلف، وضعت في تواريخ مختلفة، منها:

(كتاب مستطاب)[1] ***الذي أشار بشكل خاص إلى الفساد الناتج عن تعاطي الرشوة تحت اسم هدية بين علماء الدولة***، **وكتاب (مصالح المسلمين ومنافع المؤمنين)**، ***احتوى على نصائح للدولة من أجل الاستفادة من العلماء في الأمور الإدارية والعسكرية***، **وكتاب (حرز الملوك)**، ***تعرّض الكتاب للنقاط الأساسية في نظام التعليم المدرسي ونظام التدريس.***

تمثل هذه الرسالة (أصول الحكم في نظام العالم) الرسالة الأولى من سلسلة رسائل الإصلاحات والتنظيمات في الدولة العثمانية، وجعلتها في خمسة مباحث أو فصول، هي:

الفصل الأول: التعريف بالمؤلف.

الفصل الثاني: مؤلفات الآقحصاري.

الفصل الثالث: نسبة هذه الرسالة إلى المؤلف.

الفصل الرابع: التعريف بهذه الرسالة.

الفصل الخامس: نص رسالة **(أصول الحكم في نظام العالم)**.

والله عز وجل وحدَه أسأل أن يجعل هذه الأعمال المعرفية المتواضعة خطوة بدايةٍ لإسقاط بعض الضوء على الصفحات المضيئة والجوانب النيِّرة والمثل العليا والشواهد المتميزة من تاريخ الحضارة الإسلامية العثمانية، وأن يكتب سبحانه وتعالى لنا التوفيق والسداد.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

إستانبول

٢٨ ربيع الثاني ١٤٣٤ **كتبه**

د. شامل الشَّاهين

---

(١) انظر صورة مخطوطة الكتاب باللغة العثمانية في كتاب: مراجع تتعلق بتشكيلات الدولة العثمانية (Osmanli Devlet Teskilatina Dair Kaynaklar) يشار يوجل.
ط١ ـ أنقرة: مطبعة مؤسسة التاريخ التركي، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

الفصل الأول
التعريف بالمؤلف

واشتمل على خمسة مباحث:

المبحث الأول: اسمه، ونسبه، وكنيته، ولقبه.
المبحث الثاني: مولده ومكان ولادته.
المبحث الثالث: نشأته، ورحلته في طلب العلم، وحياته العلمية والقضائية، والوظائف التي شغلها.
المبحث الرابع: مكانته العلمية وثناء العلماء عليه.
المبحث الخامس: وفاته.

المبحث الأول
اسمه، نسبه، كنيته، ولقبه

هو حسن بن طُورْخان [1] بن داود بن يعقوب الذّيبيّ الأقحصاري، المشهور بـ(**كافي**)، الفقيه الحنفي، الأصولي القاضي، النحوي، الأديب، الشاعر، العالم الجليل، المصلح الفاضل، البارع في شتى العلوم، فخر بلاد البوسنة، ورئيس علمائها [2].

اشتهر ولُقِّب وعرف بالكافي، وسبب ذلك يعود إلى أحد الأسباب التالية أو إليها جميعاً[3]:

أولاً: لمهارته في تدريس الكافية لابن الحاجب في النحو وتَمكُّنه وإبداعه في ذلك.

ثانياً: لقيامه بشرح الكافية لابن الحاجب.

---

(١) في هديّة العارفين: "حسن بن عبد الله" وهو خطأ.

(٢) انظر ترجمته في نظام العلماء إلى خاتم الأنبياء للمؤلف (مخطوط): الفصل التاسع والعشرين، الجوهر الأسنى في تراجم علماء وشعراء بوسنه: محمد الخانجي ٥٠ ـ ٥٩ص، المحقق ٦١ ـ ٧١ص، حدائق الحقائق: نوعي زاده عطائي ٢: ٥٨٣ ـ ٥٨٤، السجل العثماني ٢: ١٣٠، المؤلفون العثمانيون: محمد طاهر بروسه لي ١: ٢٢٧، كشف الظنون: حاجي خليفة (كاتب جلبي) ١: ١١٣ ـ ١١٤، ١٩٠، ٤٧٣، ٢: ١٨٢٣، هدية العارفين: إسماعيل باشا البغدادي ١: ٢٩١ ـ ٢٩٢، إيضاح المكنون: إسماعيل باشا البغدادي ١: ٣٩٨، الموسوعة الإسلامية التركية ١٦: ٣٢٦ ـ ٣٢٩، الأعلام للزركلي ٢: ١٩٤، معجم المؤلفين: عمر رضا كحالة ٣: ٢٣٣، موسوعة الحضارة الإسلامية (فصلة تجريبية ثانية) ٤٠٨ ـ ٤١١ص، تاريخ الأدب العربي: كارل بروكلمان ٩: ٣٩٤.

(٣) أشار إلى ذلك: محمد طاهر بروسه لي في: المؤلفون العثمانيون ١: ٢٢٧ ونوعي زاده عطائي في: حدائق الحقائق ٢: ٥٨٤.

كما أطلق عليه لقب **"الذيبيّ"** نسبة إلى القرية التي ولد فيها ذيب من قرى آق حصار، والتي ارتحل إليها جده [1].

** ** **

(١) الجوهر الأسنى (المحقق): محمد الخانجي ص٦٢.

المبحث الثاني
مولده ومكانه

ولد الآقحصاري في قرية ذيب التابعة لبلدة آق حصار الواقعة في البوسنه والهرسك.

وكانت ولادته سنة إحدى وخمسين وتسعمائة.

وآق حصار **Akhisar**[1]: كلمة عثمانية، تعني: القلعة البيضاء. وقد أُطلقت على عدة مدن أهمها:

١ ـ **آق حصار** الواقعة على ساحل بحر إيجة في تركيا، وكانت تعرف في القديم

بـ **"بيليوبيا"**، ثم سميت **"تيترا"**، وفي القرن الرابع عشر أصبحت تعرف بـ**"آق حصار"**، وألحقها السلطان بيازيد بمنطقة الأناضول، وأصبحت قضاء تابعاً لولاية مانيسا.

٢ ـ آق حصار: بلدة واقعة إلى الغرب من سراييفو عاصمة البوسنه والهرسك، وكانت سراييفو تسمى **"ابروساج"** واليوم تسمى بولني وَكُفْ **(Polnyi Wakuf)**، استولى عليها العثمانيون بقيادة مصطفى باشا عام ٩٠٧ هـ/ ١٥٠١م.

ونسب إلى هاتين المدينتين كثير من العلماء نذكر منهم:

أولاً: العلماء الذين نسبوا إلى آق حصار (التركية):

١ ـ **لطف الله بن شجاع الدين إلياس بن عيسى الرومي الآقحصاري**، ت٩٤٠هـ.

من مصنفاته: حاشية على شرح العقائد للكستلي، حاشية على هداية الحكمة لملا زاده، تعليقة على شرح آداب البحث لمسعود الشرواني،

---

(١) **آق حصار = آقحصار = الآقحصار = آق حصار = الآق حصار كتبها بعض الباحثين أق حصار (بالهمزة) وهذا خطأ، والصحيح ما أثبتناه بالمد (آق حصار) وهو المثبت في الأصول المخطوطة، وبعض المراجع العثمانية مثل: هديّة العارفين ١: ٢٩١، والمؤلفون العثمانيون ١: ٢٢٧.**

وغيرها[1].

٢ ـ إلياس بن عيسى بن مجد الدين الآقحصاري، ت٩٦٧هـ.

من مؤلفاته: تسخير الأكبر في علم الحروف، تعليقه على شرح آداب البحث لمسعود الشرواني، رموز الكنوز، كنز الأسرار، وغيرها[2].

٣ ـ عبد الجليل بن يوسف البجيلي الرومي الآقحصاري، ت٩٨٠هـ.

من مصنفاته: درر البحور، ذخر الآخرة في شرح الأربعين، سبعة أبحر، شرح سبعة أبحر، السكر الصافي، وغيرها [3].

٤ ـ أحمد بن عبد القادر الرومي الآقحصاري، ت١٠٤١هـ.

من مصنفاته: مجالس الأبرار، مسالك الأخيار في الزهد، مختصر إغاثة اللهفان، المجالس الروسية في نهار العربية، وغيرها [4].

٥ ـ أحمد بن محمد الرومي الحنفي الآقحصاري، ت١٠٤٣هـ. من مشايخ الخلوتية، ويعرف بالرومي.

من مؤلفاته: حاشية على تفسير أبي السعود، دقائق الحقائق، رسالة التدقيق، الرسالة الدخانية، شرح الدر اليتيم في التجويد، مجالس الأبرار، وغيرها[5].

٦ ـ محمد سعيد بن عبد الله المدرس الرومي الحنفي الآقحصاري، ت١٣٢٠هـ.

من مؤلفاته: حاشية على الدر الناجي في المنطق، شرح آداب البحث لطاش كبري زاده، شرح قياس الموسوية، عندليب المجالس،

---

(١) انظر ترجمته في: هدية العارفين ١: ٨٤٠.

(٢) انظر ترجمته في:كشف الظنون ٢: ١٢٥٣، ١٢٧٠، ١٨٤٢، ١٨٤٣، هدية العارفين ١: ٢٢٦، معجم المؤلفين ٢: ٣١٥.

(٣) انظر ترجمته في: كشف الظنون ٢: ٩٧٧، هدية العارفين ١: ٥٠٠، معجم المؤلفين ٥: ٨٤.

(٤) انظر ترجمته في: الأعلام للزركلي ١: ١٥٣، العلماء الأتراك في الأعلام للزركلي: شامل الشاهين ص١٣.

(٥) انظر ترجمته في: هدية العارفين ١: ١٥٧، معجم المؤلفين ٢: ٨٣.

قرة الواعظين شرح درة الواعظين، منهاج النجاح إلى معراج الفلاح، وغيرها [١].

ثانياً: العلماء الذين نسبوا إلى آق حصار (البوسنه):

١ـ المؤلف الإمام حسن كافي الآقحصاري، وهو من أشهرهم.

٢ـ طورخان بن يعقوب الذّيبيّ الآقحصاري (والد المؤلف)، ت٩٩٤هـ[٢].

٣ ـ أحمد أفندي الآقحصاري البوسنوي، ت١١١٥هـ.

أصله من آق حصار البوسنه، ذهب إلى إستانبول وهو صغير فأخذ من علمائها ولازم محمد *أفندي شعبان زاده*، فلقّب بشعبان زاده كتخداي، ثم صار مدرساً ودرّس في مدارس كثيرة في إستانبول [٣].

٤ ـ مصطفى أفندي بن محمد الآقحصاري البوسنوي، ت١١٦٩هـ.

مفتي بلدة آقحصار **"بروساج"**.

له من التآليف: رسالة الذاكر وتبشير الغزاة [٤].

---

(١) انظر ترجمته في: هدية العارفين ٢: ٣٩٩، معجم المؤلفين ١٠: ٣٣.

(٢) انظر ترجمته في: الجوهر الأسنى (المحقق) ص٦٢.

(٣) انظر ترجمته في: الجوهر الأسنى (المحقق) ص٤٢.

(٤) انظر ترجمته في: الجوهر الأسنى (المحقق) ١٨٣ ـ ١٨٤ص.

المبحث الثالث
نشأته، رحلته في طلب العلم،
حياته القضائية والعلمية والوظائف التي شغلها

نشأ القاضي الآقحصاري، أول حياته في مدينة آق حصار البوسنية وأخذ في تحصيل العلوم فيها وهو ابن اثنتي عشرة سنة، وبعد أن يسّر الله له تحصيل مبادئ العلوم وأساسيتها في بلدة آق حصار، سافر إلى القسطنطينة في عهد السلطان ***سليم خان*** وذلك عام ٩٧٤هـ/١٥٦٦م وأخذ من علمائها وأصبح تلميذاً للإمام ***كمال باشا زاده*** و***لقاضي عسكر الروم إيلي الملا أحمد الأنصاري***.

كما تتلمذ على **أبو المعالي** مولانا ***بالى يوسف القاضي*** والمفتي بالمحروسه سراي (**سراي بوسنة**) وعلى الشيخ ***الأنور صير غضنفر بن الحين*** المتقاعد بالمدينة المنورة.

وبعد أن حصّل من هؤلاء العلماء الأفاضل العلوم والمعارف (وقضى في إستانبول تسع سنوات)، رجع إلى بلده آق حصار وذلك في ثلاث وثمانين وتسعمائة، وشرع بالتدريس والتأليف، ثم عين قاضي لمدينة آقحصار سنة إحدى وتسعين وتسعمائة.

ثم ارتحل إلى الآستانة مرة أخرى وعين في القضاء في ولاية **"سره'م"** واشتغل بالقضاء والتدريس والتأليف.

وقبل الشروع في تفصيل وترجمة نشأته وحياته العلمية والقضائية والوظائف التي اشتغلها، أريد أن أنقل هنا أفضل وأوسع ترجمة للقاضي الآقحصاري عثرت عليها، وهي ما ترجمه لنفسه والتي كتبها في آخر كتابه نظام العالم في الفصل التاسع والعشرين كما وجدتها في مخطوطة الكتاب رقم ٣٤٠ والموجودة بجامعة مرمرة في إستانبول، وكذلك في مخطوطة كتاب شرح رسالة العالم والموجودة في مكتبة ***الغازي خسرو بك*** في سراييفو برقم ١٤/٨٥٠، ونقلها الشيخ ***محمد الخانجي*** في

ترجمته له في كتاب الجوهر الأسنى، قائلاً: (هذا العبد الضعيف الفقير إلى ربه الباري، حسن بن طورخان بن داود بن يعقوب الذّيبيّ الآقحصاري، القاضي بأقحصار، عفا عنه وعنهم الملك الغفار.

حكى والدي، تغمده الله بغفرانه، وبعض الثقات من أقرانه، أن جدي المرحوم، يعقوب، قد عاش مائتين وسبعاً وعشرين سنة - هكذا في نسختي الخطية- وذكر المؤرخ ***صالح أفندي*** الموقت، في تاريخ ديار بوسنة، أنه عاش مائة وعشرين سنة. ولعل هذا هو الصواب، وذاك غلط من النساخ - وكان مولده في جانب إسكندرية الرومية، ثم ارتحل إلى قرية ذيب ووقووو، بناحية آقحصار وهو نصراني، ثم هداه العزيز الغفار، فأسلم عند مجيء أبي الفتح السلطان محمد خان لفتح ديار آقحصار، وعاش في الإسلام إلى أوائل سلطنة السلطان **سليمان خان**[1]، عليه الرحمة والغفران.

وإن جديَّ داود المرحوم قد عاش إلى سبعين سنة وشهد غزوات، ثم استشهد عند محاصرة القلعة المعروفة بـ**"بوارنه"**، من قلاع هِرْوات. وعاش والدي، رحمَه الله بالقناعة والصَّلاح ستاً وتسعين سنة، ثم توفي بآقحصار، في محرم سنة أربع وتسعين وتسعمائة عفا عنهم العفو الغفَّار.

وسمعت من والدتي المرحومة، أن العبد الضعيف، ولد بأمر الله اللطيف، يوم الجمعة بعد العصر، في رمضان، سنة إحدى وخمسين وتسعمائة، في زمان السلطان ***بايزيد خان بن السلطان أبي الفتح محمد خان***، عليهم رحمة ربهم الرحمن.

ثم أخذت في تحصيل العلم، وأنا ابن اثنتي عشرة سنة، ولما تيسَّر لي تحصيل مبادئ العلوم في بلادنا، ارتحلت إلى دار السعادة

---

(١) السلطان سليمان خان القانوني بن السلطان سليم، وهو المعروف بالغازي، وبلغت الدولة العثمانية في عهده أوجها، وكانت ولايته سنة ست وعشرين وتسعمائة، واستمر إلى سنة أربع وسبعين وتسعمائة. "حقائق الأخبار عن دول البحار ١/٥٣٢".

قسطنطينية المحمية، في أوائل سلطنة السلطان سليم خان[1] بن السلطان سليمان خان، عليهما الرحمة والغفران، وأخذت من المشايخ والعلماء، واشتغلت عند كثير من الفضلاء، حتى انتسبت إلى خدمة الشيخ الفاضل الكامل، والعالم الأستاذ العامل، معيد الإمام ***كمال باشا زاده***[2] المتقاعد بالتدريس في بلدة جنالجة، تغمده الله برحمته، وصرت متلمذاً من حضرته العزيزة متلذّذاً بصحبته اللذيذة، مقتبساً من أنوار أنفاسه الشريفة، مغترفاً من بحار أبحاثه اللطيفة، فأخذت ما أخذت من حضرته، ووجدت ما وجدت من خدمته، عوَّضه الله بجنته، ثم من أساتيذي الكبار ومشايخي ذوي القدر والاحترام، صدر الفحول، بدر الفضلاء من المعقول والمنقول، الإمام العلاَّمة في التفسير والأصول، قاضي العسكر المظفَّر برُوم إيلي بعد طول، الأستاذ الأعلم، المعروف بالعجم، والمشهور بـ ***مُلاَّ أحمد الأنصاري***[3]، سلمه الخالق الباري، والشيخ الفاضل العلاَّمة في مشكلات الأحاديث والآي، القاضي والمفتي بمحروسة سراي، قدوة مشايخ الأعالي، عمدة أفاضل الموالي،

---

(١) تولى السلطنة بعد أبيه سنة أربع وسبعين وتسعمائة، واستمرت ولايته إلى سنة اثنتين وثمانين وتسعمائة. انظر: حقائق الأخبار ١/٥٥٥.

(٢) هو حاجي أفندي قره ييلان المشهور بمعيد كمال باشا زاده، توفي سنة ثلاث وثمانين وتسعمائة. وكان قد جاوز المئة.

(٣) أحمد بن روح الله، سيدي ناصر الدين بن غياث الدين بن سراج الدين الأنصاري الجابري الرومي قاضي القضاة بالشام ومصر وأدرنة وقسطنطينية، دول قضاء العسكر، توفي سنة ثمان وألف.
انظر ترجمته في: خلاصة الأثر للمحبي ١: ١٨٩.

أبو المعالي مولانا ***بالي بن يوسف***، الشهير بمعلم الوزير الأكبر [1].

ثم آخر من تَتَلمذتُ من حضرته، وتشرفت بشرف صحبته، قدوة مشايخ الحرمين، عمدة أئمة المقامين المحترمين، أستاذ سلطان الهند، جلال الدين الأكبر، والقاضي بعسكره المظفر، الشيخ الأنور، ***مير غضنفر بن الحسين***، المتقاعد بالمدينة المنورة، وحشرني الله وإياهم في زمرة الكرام البررة، مع العشرة المبشرة.

ولمَّا منحني الله بعضاً من الفنون، ونُبذاً من العلوم، رجعت إلى بلدنا آقحصار المرقوم، سنة ثلاث وثمانين وتسعمائة، فمنَّ الله تعالى عليَّ بعقد مجلس الدرس به لطلبته، حتى شرعت بعناية مجيب الدعوات، في بعض التآليف، فأوَّل ما كتبته "***رسالة في تحقيق لفظ چلبي***"، ثم ألّفت "***مختصر الكافي في المنطق***"، سنة ثمان وثمانين وتسعمائة.

ثم ابتُليت بقضاء آقحصار سنة إحدى وتسعين وتسعمائة. وشرحت ذلك "***المختصر***" إلى آخر التصورات، وألّفت كتاب "***حديقة الصلاة***"، التي هي رأس العبادات، في شرح "**مختصر الصلاة**" للإمام كمال باشا زاده، سنة ستّ وتسعين وتسعمائة.

ثم ارتحلتُ إلى دار السلطنة، فابتُليت بالقضاء في ولاية سره مِ، في أثناء الدرس والقضاء كتبت بعض التآليف والإملاء، شرعتُ في تصنيف كتاب "***سمت الوصول، إلى علم الأصول***"، وعند ذلك شرّفني الله بشرف الحج الشريف، في السنة السنيّة التي هي رأس ألفٍ من الهجرة النبوية، فبعناية الله تعالى وتبارك أتممته في ذلك السفر المبارك،

---

(١) بالي أفندي بن يوسف البوسني، أخذ العلم من علماء بلاده البوسنة، عمل في التدريس ثم صار قاضياً في البوسنة، وكان من مشايخ الطريقة البيرمية، شارك مع المؤلف في القتال والرد على الحمزويّين في شمال البوسنة، وكان له الفضل في القضاء عليهم، وعرف الشيخ بالي بالعلم والصلاح، توفي سنة تسعين وتسعمائة.
انظر ترجمته في: حدائق الحقائق: نوعي زاده ١: ٢٨٣، والجوهر الأسنى (المحقق) ص٥٠ - ٥١.

فعرَضته على علماء القدس والشام الشريف، ثم على فضلاء مشايخ الحرمين المحترمين، خصوصاً على شيخنا وأستاذنا الشيخ الأنور مير غضنفر، أعزّه الله العزيز الأكبر، فبعد قبولهم بالاستحسان، أكرموني بمزيد الإحسان، أكرمهم الله الملك المنّان، يوم الحساب والميزان، ثم لما رجعتُ إلى دار السلطنة عرضته على أكابر أفاضل الروم، الفائقين في جميع الفنون والعلوم، أعزّهم الله الحي القيوم، فبعد القبول والاستحسان، واستشارتي في الإظهار والإعلان أشاروا عليَّ بأن أشرحه إن ساعدني الزمان.

وفي أثناء هذا الاختبار، ابتُليتُ بالقضاء في بعض البلاد والديار، بجوار آقحصار، سنة إحدى وألف.

ولما ظهرت فتنة الأردل والقرال، وآل الأمر إلى المحاربة والجدال، وبدأ البغي والفساد من العمال، تركت القضاء والتجأت لوطني آقحصار، وعقدت مجلس الدرس لطلبة الديار، ودرّستهم بعون الله العليم الستار، من الفروع والأصول والمعقول والمنقول، وشرحت كتابنا **"سمت الأصول"**، سنة أربع وألف، وألّفت فيها أيضاً كتاب ***"أصول الحكم في نظام العالم"***.

وفي أواخر هذه السنة السنيّة، خرج سلطاننا المظفّر المنصور، للغزوة المعروفة بغزوة أكرا ومحاربة التّابور[1] [2]، ألا وهو سلطان الحرمين المحترمين وخاقان البرّين والبحرين، مالك رقاب ملوك الأمم، سلطان سلاطين الروم والعرب والعجم، رافع رايات العدل والإنصاف والعدل، قامع آيات الجور والاعتساف، أعنَّة عنايته نحو رعاية العلم والعلماء معطوفة، وهمة حمايته إلى تجديد مباني الشرع الشريف مصروفة، المنصور من السماء بعون الله الملك الشكور، المظفَّر على الأعداء في محاربة التّابور، السلطان العثماني، ***أبو الفتح الثاني،***

---

(١) جيوش الأعداء.

(٢) انظر خبر هذه الحرب التي تسمى بحرب النمسا، في: حقائق الأخبار ١: ٥٦٧ وما بعدها.

السلطان الغازي محمد خان بن السلطان مراد خان بن السلطان سليم خان بن السلطان سليمان خان، أعانه الله وصانه في جميع الأزمان كما نصره وأعانه في ذلك الزمان.

فخرجنا للغزاة معه من آقحصار يوم السبت الرابع من محرم الحرام، لسنة خمس وألف، ولحقنا بمعسكره المظفَّر تحت القلعة بعد المحاصرة يوم السبت، الثالث من صفر المظفَّر، للسنة المزبورة، ثم بعناية الله وقدرته، وبمجاهدة سلطاننا وعلو همته فتحت القلعة في يوم السبت التاسع عشر من ذلك الشهر، ثم وقعت المحاربة والمقاتلة بعساكر الكفرة، لسبعة ملوك من الفجرة، فإذا جاء نصر الله والفتح من القادر القهّار، انهزم الأحزاب وقُتل الكفار يوم السبت الرابع من ربيع الأول، فوقع خروجنا للغزاة يوم السبت، ولحوقنا بالمعسكر يوم السبت، وفتحت القلعة يوم السبت، وانهزم الكفار يوم السبت، ورجوعنا من المنزل الثاني يوم السبت، ودخولنا سالمين غانمين بآقحصار يوم السبت، وذلك بيُمن قول خير البشر: "بارك الله السبت أو الخميس"[1] بحق السفر، والحمد لله على ما شهدنا هذه الغزوة الكبرى، وحَضرنا في تلك المقاتلة والواقعة العظمى، ثم في هذا السَّفر المبارك المظفَّر، عرضت رسالتنا في ***"نظام العالم"*** على وكلاء سلطاننا الأعظم، من الوزراء وأكابر العلماء، فبعين عنايتهم إلى ملاحظته مالوا، وبإجماع آرائهم قالوا: إن الأولى أن يفسَّر بالتركية[2] للعرض على السلطان، وليسهل الاستفادة لأهل الديوان.

ثم ألزموا على هذا الفقير قليل المقدار، القضاء بآقحصار، فلأمرهم الشريف امتثلت، وعلى شرحه لما أمرت عزمت، فبعدما شرحته

---

(١) في حديث كعب بن مالك: (قلَّما كان رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم يخرج إلى السفر إلا يوم الخميس والسبت). رواه البزار مقتصراً على يوم الخميس. ورواه الخرائطيُّ مقتصراً على يوم السبت. وكلاهما ضعيف. وأخرج ابن ماجه في: باب ما يرجى من البركة في البكور، من كتاب التجارات، ٢/ ٧٥٢.

(٢) أي باللغة العثمانية.

بأوضح العبارات وأصح الاعتبارات، في رجب المرجّب لسنة خمس وألف، تركت القضاء، وعزمت إلى دار السلطنة قسطنطينية المحمية، حماها الله في ظل واليها عن البليّة، وحفَّها بالبركات السنيّة، والميامن البهيّة، فإذا لاحظه من بيده العقد والحل[1]، أعزّه الله عز وجل، عرضه مع بعض مؤلفاتي على الحضرة العلية وأرسله إلى السدة السنيّة، لا زالت مرجعاً لطوائف الأنام، وملجأً للعلماء الأعلام، فلما لمعت لمحة من تقليب حدقته الكريمة على تلك الأوراق، أرجو أن تكون محرراتي نور الحدائق ونور الأحداق، وإذا لمحت لحظة من عين عنايته العميمة بتعقيب شيء من الالتفات، آمل أن تصير مؤلفاتي ثقة للأعيان وعيناً للثقات، وذلك لما أنه - خلَّد الله ملكه وأيّد دولته - أعطاني قضاء آقحصار بخطه الشريف المبارك جليل الاعتبار، على طريق التأبيد والتقاعد بشرط التدريس لطلبة الديار، وأغناني بصلة صدقته بمقدار، عوّضه الله دار القرار بجوار حبيبه المختار، جعل الله طلال عدالة السلطان والوزير ظليلاً على بسيط الغبراء، برعاية العلماء والصُّلحاء، ما دار الفلك الدوار، وزلال سخواتهما سبيلاً للفقراء والضعفاء مدى الأيام والأعصار، فبيُمن دولتهما جمعت هذه "الرسالة" الشريفة، والمجلة اللطيفة، في أواخر سنة ثمان وألف، ثم شرعت بعون الله قاضي الحاجات في تبييض بعض المسودات، وهو كتاب "***تلخيص التلخيص***" في علم البلاغة، وكتاب "***روضات الجنات، في أصول الاعتقادات***" من علم الكلام.

---

(١) هو الوزير الأعظم إبراهيم باشا، الذي قدّم إليه المترجم كتابه (نظام العلماء) أحد وزراء السلطان مراد بن سليم خان، من أصحاب الشأن العالي والرأي السديد، توفي سنة عشر بعد الألف. انظر ترجمته في: خلاصة الأثر ١/ ٥٩ - ٦١)، ومقدمة الجوهر الأسنى ص٥، إثمار التواريخ مع تذييله (مخطوط): محمد شمعي ص٩٤.